لقد جربت حظي

بقلم الاستاذ جمال مهدي الرهناوي

قال «جميل» وكان الوقت مساء وقد جلس مع صاحبه يحدثه في تلك الساعة ويشكو اليه آلام نفسه وعلامات العناء الماضي من عمله المرهق المتواصل مرتسمة على محياه الجميل: - نعم ياسيدي لقد جربت حظي ولكن ماذا كانت نتيجة التجربة ؛ فالحظ اليوم هو الاصل وهو الكل في الكل فلا [فلوس] ولا شهادة دراسية ولا قوة جسمانية ولا أنا وانا ولا ولا .. (والفلوس) وان كانت في الحقيقة هي فوق حظ المرء لانها ان وجدت كونت لديك كل شيء لانها هي سر التقدم والتأخر وانها هي التي تصعد بك في الآفاق او تهوي بك للحضيض، غير انه لقد ثبت لدي بحكم تجربتي - وقد يكون هذا بالنسبة لي انا وحدي - بأن الحظ او ما يعرف عند البعض بكلمة «الشانص» هو التاج لكل الامور وكل امر آخر بعده لا قيمة له من دونه ولا غرابة يا سيدي اذا ما رأيتني اطرق لك هذا الباب دون أي باب آخر فلقد جربت حظي بكل مناسبة وفي كل دور منذ ان بدأت عندي حكومة العقل بالامر والنهي سواء أكان ذلك في الحياة الدراسية او في الحياة العملية فما وجدتني بالمحظوظ ا ففي الحياة الدراسيه كنت تجدني السباق ولي على ذلك أدلة ووثائق وشهود، لكنني بعد اكمال مرحلة الدراسة القصيرة التي لم يسعدني الحظ أيضاً لمواصلتها تجدني مصداقا للمثل المشهور (متساوية الكرعة وام الشعر) لا بل اكثر من هذا فلعل (الكرعة) خير مني في اكثر الامور، ومع الاصدقاء، هؤلاء الذين لو قدر لك ان تدرس موضوعي معهم لما خرجت من دراستك الا فارا والرعب قد ملأ منك الجوانب فالصديق الذي تراني معه ابذل قصارى جهدي في خدمته وأكون له بمثابة الاخ والساعد الأيمن - باعترافه هو نفسه - واتفاني في سبيله بما في كلمة تفاني من معنى، لا اقابل بالنتيجة منه إلا بعبارات تدل على أسفه الكبير لضياع تلك الفترة في مصادقته إياي لا بل ولعله يراها أيضاً كثيرة منه بالنسبة لي انا، انا الذي شاء ربي ان - يقذفني الى هذا العالم دون ان يجعل [الملح] في يدي كما يقول العوام لتكون مواقفي واعمالي ذات حساب وتمثل بالمناسبة امام عيني كل عقوق خائن من هؤلاء، هؤلاء الذين لا ألومهم على ما قاموا به او ما يقومون - لأن كل اناء بالذي فيه ينضح - لكنني ألوم حظي وحظي وحده. هو الذي ألوم - «ولكنه أين ؟!»

ثم خلال ذلك تعال انظر حالي مع الاهل والاقربين فبالاضافة الى ما انا عليه من الانصياع لاوامر كبارهم والعطف على صغارهم واحترامي لآرائهم واعطاء كل ذي حق حقه منهم والقيام بما يمكنني القيام به من خدمة تجاه أي منهم عند المناسبة وعلى قدر المستطاع اقول بالاضافة الى ما انا عليه فلا اقابل منهم بلا استثناء بجزء يسير مما استحقه من جزاء، او انني - وهذا ما يحصل غالباً - اقابل منهم بالعكس فكأنني عنهم بغريب.

وفي حياتي العملية لم أكن لأختلف عن حياتي الاولى فزملائي في العمل اولئك الذين كثيراً ما اقوم بكامل واجباتهم وهم يعلمون ذلك علم اليقين وهم يسرحون ويمرحون، هؤلاء الزملاء الافاضل فضلا عن انهم لا يشكرون - وهو غير منتظر - ترى كلاً منهم يملأ فيه يعد هذا جزءاً من واجبي وعملي، فكأن واجبي أنا وحدي يستوجب علي العمل لساعات اضافية - لا حميداً ولا شكوراً - وهم لاهون لاعبون والمرواتب قابضون وليتني ياهذا اجد ولو بعض العزاء ممن اعمل معهم هؤلاء الذين كثيرا ما اوصل بياض نهاري بفحمة ليلي في قيامي باعمالي ضمن حدود الواجب بعيداً عن عالم الدجل والمخاتلة والرياء اقوم بعملي - وما يتطلبه الواجب بدافع الاخلاص والعفة والنزاهة خدمة لهذه الامة والوطن ليس غير، هؤلاء الذين أكاد بالنسبة لقيامي بالواجبات